اقول انّ مثل ذلك في كلام الناطقين بالضاد كثيرٌ. اي انهم يعرّفون الشيء تارةً بوصفهِ الخارجيّ واخرى بوصفهِ الداخلي وطوراً بوصفهِ الادبي وآونةً بخواصّهِ ومرةً بظواهرهِ واحياناً باعراضهِ ومن لا ينتبه الى هذه الاوجه في الانتقاد يقع في الارتباك والاشتباك. اذ ان من هذه المعرّفات ما هي عامّة في الجنس وليست بمميّزة للفرد كما قد ورد في علم المنطق. والسلام على من اتبع الهدى

موافقة بين آيتين متناقضتين في الانجيل

للاب الفونس ڤان دن هوڤن اليسوعي

لقد ورد في الكتاب المقدّس بعض فقرات مُشكِلة وآيات مُبْهَمة اعتاص شرحها على المفسّرين حتّى اضحت لهم كعراقيل يلقون في حلّها عَرَق القِربة. لانّهم يعلمون من جهةٍ حقّ العلم انّ الكتاب مُنْزَل في كلّ اقسامهِ كما قرّر ذلك المجمع التريدنتيني (١ (الجلسة الرابعة). ومن جهة اخرى تحول دونهم بعض اقوال الاسفار الالهية فيها شبهُ تناقض كأنّ الروح القدس صاحب الوحي يقرّر في مكانٍ ما ينكرهُ في آخر. فلا يبقى لهم اذ ذاك ليتملّصوا من هذه المشاكل سوى ان يمعنوا النظر في نصّ الكتاب ويسبروه بمعيار التروّي والحكمة ثم يحاولوا وجود طريقةٍ توافق بين الآيات الشتّى فيُصرّح الحقّ عن محضهِ

وربّما سعى المفسّرون في بيان بعض المشاكل العويصة فوجدوا في فكّها عدّة وسائل فلا بأس اذ اذاك إن آثر العقلُ منها ما رآهُ اقوى بُرهاناً ونبذ ما لم يرضَ بهِ. هذا وللاقدمين كتابات واسعة في شرح هذه المناقضات الظاهرة نخصّ منهم بالذكر القديس الجليل اوغسطينوس ولهُ تأليف دعاهُ الموافقة بين الاناجيلين

وكان هذا اللفظ الخطير يُعدّ من اعظم المشاكل آيةً وردت في اناجيل البشراء الثلاثة متّى ولوقا ومرقس وهي قولهُ تعالى لتلاميذهِ

١) لكنّنا نسلّم انّ النسّاخ شوّهوا بعض آيات نسخوها بتغافلهم ولذلك قد ورد لها روايات مختلفة لا نقطع بصحّة بعضها الا اذا شهدت لها الكتبة او النسخ الاصليّة. على انّ هذا التحريف الطارئ على بعض الآيات لا يمسّ صحّة الاسفار الالهيّة المقرَّرة في المجمع التريدنتيني ولا يجحف في تنزيلها لان الله عزّ وجلّ انما ضمن حفظ صحّة الآيات المتعلّقة بالايمان والآداب ليس الّا

(متّى ١٠: ٩، ١٠) لا تقتنوا ذهباً ولا فضّة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصاً
(لوقا ٩: ٣) لا تحملوا في الطريق شيئاً لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضّة ولا يكن لكم ثوبان
(مرقس ٦: ٨، ٩) واوصاهم ان لا يأخذوا شيئاً للطريق الّا عصاً فقط . لا مزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في مناطقهم بل يحتذوا بنعال ولا يلبسوا ثوبين

وهذه الترجمة العربيّة مطابقة للاصل اليوناني حيث جاء (μηδὲ ῥάβδον و εἰ μὴ ῥάβδον μόνον) ومثلهُ الترجمة السريانيّة البسيطة (ܘܠܐ ܫܒܛܐ، ܐܠܐ ܐܢ ܫܒܛܐ ܒܠܚܘܕ)

فيظهر من كل هذه النصوص انّ التناقض بين فيها ظاهر اذ ينسب الربّ معاً قولهُ : « لا تقتنوا او لا تحملوا ولا عصاً » وقولهُ : « لا تأخذوا الّا عصاً فقط »

فان تصفّحنا كتب المفسرين والآباء القديسين وجدنا لهم شروحاً مختلفة لكشف ما غمض من مأخذ هذه الآية . ومنهم من عدل عن رأيهِ الأول في شرح هذا المعضل الى رأي آخر رجّحهُ بعد الفحص والتروّي كما فعل في زماننا احد ائمّة المفسرين الاب كنابنباور فانّهُ ارتأى في كتبهِ الحديثة خلاف ما دافع عنهُ سابقاً

امّا نحن فاحببنا ان نعرض هنا ملخصاً على القرّاء ما جاء في هذه الآية من التفاسير المتباينة ثمّ نشفع الشرح الاخير بملاحظاتٍ من شأنها ان ترجّحهُ على الآراء السابقة . وغاية مرامنا ان يجد القارئ بين هذه الاقوال ما يقنعهُ في شرح الآية المذكورة

١ فالرأي الاول وهو اقدم ما ورد في تصانيف الآباء قد سبق اليهِ القديس اوغسطينوس في كتابهِ الثاني من الموافقة بين الانجيليين . ومرجع قول هذا الامام الجليل الى انّ لفظة « العصا » في متّى ولوقا يراد بها المعنى الحقيقي . وفي مرقس المعنى المجازي يفهم بهِ السلطة . وعليهِ قد فسّر القديس الآنف ذكرهُ هذه الآية بقولهِ : على الرسل ان يذهبوا بما خوّلهم فقط من السلطان لبشارة الانجيل والدعوة الى دين المسيح ولا يبالوا بشيءٍ آخر من امور هذه الدنيا لا بالمال ولا المقتنيات ولا لبس الثياب حتى ولا اخذ عصاً لانّ الربّ فرض على من يسمعهم بان يقوموا بمعاشهم وحاجاتهم « لانّ الفاعل يستحقّ طعامهُ » (متّى ١٠: ١٠)

وعليهِ فيكون تمام قول الربّ في مجموع الاناجيل الثلاثة لأنهُ يأمر تلاميذهُ ألّا

يأخذوا شيئاً للطريق مهما كان ولو عصاً (متى ولوقا) بل يكتفوا بعصا السلطة للتعليم والارشاد (مرقس). غير انَّ الانشيرَين الاوَّلين يشيران في معرض كلامهما الى هذه السلطة الروحيَّة التي خوَّلها الربُّ رسلهُ بينا مرقس يشير الى التجرُّد حتى عن عصا الطريق بقوله «اوصاهم ان لا يأخذوا شيئاً»

٢ (الرأي الثاني) هو الذي وجَّههُ مُذيّل ترجمة الكتاب المقدَّس المنشورة في مطبعتنا اخذهُ عن عدَّة مفسّرين فقال ما نصُّهُ: جاء في انجيل متّى «ولا عصاً» وفي انجيل مرقس انَّهُ اوصاهم أن لا يأخذوا «الَّا عصاً» فظاهرهُ تناقضٌ صريح الَّا انَّهُ ليس به لانَّ من العصا ما تكون علامة للعلم والسلطة وهي التي حرَّمها المسيح هنا ومنها ما يستعملها المسافر وهي التي اوصاهم بحملها في مرقس (اه)

فهذا الرأي كما ترى هو عكس قول القديس اوغسطينوس لانَّهُ يجعل لفظ العصا مجازيًّا في متّى ولوقا. وحقيقيًّا في مرقس فيحرّم المسيح على تلاميذهِ استعمال الوسائط البشريَّة في دعوة الشعوب الى الخلاص (متّى ولوقا) ويأذن لهم فقط باخذ عصاة المسافر (مرقس)

٣ (الرأي الثالث) لكرنيليوس الحجري اليسوعي وهو كما لا يخفى من ائمة مفسّري الكتاب الكريم. وهذا الرأي لا يخلو من الصحَّة كما سترى ولهُ علاقة مع الرأي السابق يقول الشارح انَّ للفظة العصا في اليونانيَّة (ῥάβδος) ثلاثة معانٍ. اوَّلها ما يُتوكَّأ عليهِ. ثانيها الاداة التي بها يدافع الانسان عن نفسهِ او يعاقب المجرمين. وهذان المعنيان يوافقان للَفظة العبرانيَّة (משען) (مِشعَن). امَّا المعنى الثالث فهو الصولجان وقضيب السلطة يطابقهُ في العبرانيَّة لفظ (שבט) (شِبِت) فينهى الربُّ تلاميذهُ عن استعمال عصا العقاب والمخصرة رمز الشرف (متّى ولوقا) ولا ينهاهم عن اتّخاذ عصاً يتكئون عليها في طريقهم ·

ولعلَّ قائلًا يقول كيف امكن المسيح ان يشير الى عصاة المُعاقبة او قضيب السلطة ورسلهُ قوم سُذَّج لم يدركوا هذه الاشارات الخفيَّة. نقول ليس الامر بمستبعد كما يُظنّ لانَّ الرُّسل كجميع اليهود كان يرون بينهم رؤساء الرومان وولاتهم يتقدَّمهم جنود حاملين السياط او العصي دلالةً على مناصبهم الرفيعة يُدعَون لذلك حاملي العصي (ῥαβδοφόροι او ῥαβδοῦχοι). وكان ايضاً الربّيون بين اليهود كما شهد ليراوس يمسكون بايديهم عصاً تؤذن بمقامهم. ونرى عند قدماء العرب ما يشبهُ هذه العادة فكان الخطباء في اوان

كلامهم يمسكون عصاً حتّى صارت عندهم عصا الخطيب رمزًا عن سطوتهِ وقدرتهِ (راجع الصفحة ٣٢ من كتاب العصا لاسامة بن منقذ طبعة العلّامة درنبرغ) . وجاء في اخبار قس بن ساعدة انهُ ربّما استبدل العصاة بسيف كان يقبض عليهِ في خطبهِ (راجع ص ٢١١ من كتاب شعراء النصرانية)

فيظهر ممّا سبق انهُ ليس في معاني العصاة الآنف ذكرها من الغرابة ما كان يفوق ادراك التلاميذ . ولعلّ الرب في اللغة الآرامية التي كان ينطق بها اشار الى هذه المعاني بالفاظ مختلفة تُشعر بغايتهِ

٤ هذا وقد عرض غروسيوس احد علماء البروتستنت الهولنديين شرحاً رابعاً لهذه الآية نوردهُ على علّاتهِ قال : انها لعادة جرت في الشرق انّ المسافرين يحملون على كتفهم فضلًا عن عصاة الطريق عصاةً أخرى يعلّقون عليها لوازم سفرهم كزوج نعال او ثوب او طعام . فقول الربّ في انجيلَيْ متّى ولوقا يشير الى هذه العصاة دون الاخرى لانّهُ لمّا اوصاهم جلّ ذكرهُ بان لا يهتمّوا في طريقهم بامر المال واللبس والاكل لم يَعُد يبقى داعٍ لهذه العصاة . امّا عصاة السفر فلم ينهَ عن حملها في الطريق وايّاها اراد الربّ في انجيل مرقس . واستند غروسيوس في قولهِ هذا الى نصّ لوقا اليوناني الاصلي وفيهِ « ῥάβδους عِصِيّ » على لفظ الجمع لا « ῥάβδον عصاً » على الافراد

٥ وقد ذهب الى رأي خامس منذ عامين احد علماء رهبانيتنا الذي قضى بضعة سنين في الشرق . فانّهُ كتب في مجلّة الابحاث الدينيّة (Études Religieuses, oct. 1895) مقالةً في شرح هذه الآية على نوع مبتكر . ويختلف تفسيرهُ عن التفاسير السابقة بانّهُ لا يعتبر ما للعصاة من المعاني بل يبحث عن معنى حرف النفي في قولهِ تعالى عند متّى ولوقا « ولا عصا » وعن اداة الاستثناء في قولهِ بمرقس « الّا عصاً فقط » . فيقول ان للاداتين كلتيهما معنًى واحدًا

وان اعترض عليهِ احدٌ قائلًا انّ النصّ الاصليّ اليوناني لا يقبل هذا الشرح لما يوجد من المعاني المتباينة بين « εἰ μή » النافية وبين « εἰ μὴ μόνον » المستثنية فيجيب انّ لغة العهد الجديد وان كانت اليونانيّة الّا انها يدخلها كثير من التراكيب الاعجميّة لانّ الانجيليين كانوا عبرانيين لم يحسنوا التكلم باليونانيّة ولذلك كثيرًا ما دخل في كتاباتهم من التصاوير والتعابير الاجنبية المأخوذة من اللغة الآرامية التي تعلّموها في حداثتهم . ونعلم انّ

الله في وحيه لهم لم يُرد ان يبدل لهجتهم او طريقة انشائهم. فينتج من هذه الملاحظة انّ عباراتٍ كثيرة في الكتاب الكريم لا يُطّلع على معناها الحقيقي الّا بمعرفة اللغات الساميّة كالعبرانيّة والآراميّة

فبعد هذه المقدّمات يحاول الشارح الآنف ذكرهُ ان يبيّن انّ العبارة « εἰ μὴ ῥάβδον μόνον الّا عصاً فقط » في انجيل مرقس يمكن ترجمتها بقولنا « ولا عصاً فردًا » فيعود من ثمّ لا خلاف بين مرقس والانجيليين الآخرين. واخصّ الحجج التي يبني عليها زعمهُ انّهُ جاء في بعض آيات الكتاب ما يسوّغ ترجمة (εἰ μὴ) الاستثنائية بحرف نفي فنعرّبها بقولنا « ولا » بدلًا عن « الّا ». امّا لفظة « μόνον » المترجمة في العربية بفقط فيسوغ ان تعرّب بالفرد. فيصير معنى الآية في مرقس « ولا تأخذوا ولا عصاً البتّة » او « حتى ولا عصاً » وهذا عين قول متّى ولوقا

نقول ان حقّ قولُ صاحب هذا الرأي فقد حُلَّ المشكل تامًا ولم يبقَ لخلاف مكان الّا انّنا لانزال نشكّ في صحّة هذا التفسير. وذلك اوّلًا لانهُ لا يوافق اقدم ترجمات الكتاب الكريم كالنسخة السريانية البسيطة مثلًا حيث لا سبيل لتعريب ما جاء فيها ألا لي مَحوٰا خَطْرا » بغير معنى الاستثناء. ثانيًا وان سلّمنا بانّ حرف « εἰ » يدلّ على التأكيد اذا كان منفردًا فاننا لم نجد سواء كان في الكتاب الكريم او في تآليف ادباء اليونان شاهدًا واحدًا على اجتماع هذين الحرفين « εἰ μὴ » بمعنى آخر غير الاستثناء. ثالثًا اذا اعتبرنا اللغة العبرانيّة نفسها وجدنا ان ما يوافق هذين الحرفين فيها يدلّ بلا ريب على الاستثناء لا على النفي. وزد على ذلك انّ القديس مرقس قد استعمل هذه العبارة في غير هذه الآية بمعنى الاستثناء ليس الّا .

٦ بقي رأي سادس ارتآهُ العلّامة الشهير الاب مَلدُنات اليسوعيّ وهو على ظنّنا الارجح فهاك قولهُ ملخصًا نشفعهُ ببعض ملاحظات من شأنها ان تبيّن صحّتهُ

قال الاب ملدونات: انّ غاية المسيح في كلامهِ هذا الى رسلهِ انّما كانت ان يلقّنهم الزهد في الدنيا والتجرّد من كل شيء. فهذا الامر قد ادركهُ الانجيليّون حقّ الادراك لكنّهم قد عبّروا عنهُ بنوعين ظاهرهما متناقض وحقيقتهما واحدة. وهاك بيان ذلك

ما من احد ينكر انّ عدم امتلاك عصاةٍ من علامات الفقر كما يستدلّ على ذلك من قول متّى ولوقا. لكني اقول انّ اتخاذ عصاة فقط لا يُراد بهِ ايضًا

سوى الدلالة على الزهد والفقر

وادلّ شاهد على ذلك ما جاء في الاسفار الكريمة (التكوين ٣٢ : ١٠) على لسان يعقوب يخاطب الربّ : « انا دون ان استحقّ جميع ما صنعتَ الى عبدك من المراحم والوفاء لانّي بعصاي عبرتُ هذا الاردنّ والآن قد صار لي فرقتان . . . » . فترى ماذا يريد يعقوب بقوله « بعصايَ عبرتُ بهذا الاردنّ » سوى ان يبيّن ما كان عليه من الفقر والمسكنة كما يظهر جليًّا من قرينة الكلام . فلِمَ لَمْ يستطع القديس مرقس ان يعبّر عن الامر نفسه باتّخاذ العصاة . لاسيّما انهُ لا يقول كالقديس متى : « لا تقتنوا . . . ولا عصاً » لكن « واوصاهم ان لا يأخذوا . . . الّا عصاً » اذ يمكن استخدام العصا للطريق دون امتلاكها وذلك ممّا لا يخلّ بالفقر الكامل ولا ذرّةً

اقول ثانيًا انّ اتّخاذ العصا عند كثير من امم الشرق رمزٌ الى الزهد والتنسّك كما نرى ذلك كلّ يوم في طوائف الدراويش الذين لا يحملون غير عصاة الطريق وقصعة الكُدْية فمن رأى ذلك في يدهم لا يشكّ في فقرهم . فامكن اذن ان يشير القديس مرقس الى هذا التجرّد بذكر العصا فقط

اقول ثالثًا ان الاوربيين نفسهم ربّما اعتبروا العصاة كشارة الفقر المُدقع . فمن ذلك انهم كانوا اذا ارادوا الحجّ الى الاراضي المقدّسة اتّخذوا العصاة وتقلّدوا السبحة وساروا يستعطون في طريقهم . وكان من رآهم يأويهم لوجه الله ويتصدّق عليهم . وصار كمثل في لغة الفرنج يضرب في الفقر وقد جاء في بعض امثال لافُنتين الشاعر « gens portant bâton et mendiants » فكنى بحَمَلة العصاة عن الفقراء كما يلوح ذلك بديهيًا من القرينة . وقد جاء في عبارة اخرى افرنسية « انّ فلانًا خرج من وظيفته وبيده العصا او عصاةٌ بيضاء » (Il est sorti de tel emploi un bâton *ou* un bâton blanc à la main) يريدون بذلك انهُ ليس بيده شي وانهُ في غاية العَوَز

اقول رابعًا انّ الدلالة على الفقر كالعري والجوع وما شاكلهما كثيرًا ما يكون بذكر الشيء الزهيد فنقول مثلًا : لا يملك فلانٌ الّا أسمالًا من الثياب وبات فلان على كسرة خبز . يراد بكلّ ذلك اقصى المسكنة لانّ القليل في ذلك يُعَدّ كلا شيء

فعلى هذا يمكن شرح قول الانجيليَّين على هذه الصورة : اذهبوا ولا تنالوا بشيء من امور الدنيا مهما كانت . وان وُجد في يدكم عصاة فخذوها واقتنعوا بذلك (مرقس)

واذا لم تجدوا فلا تسعوا في اقتناء عصاة لطريقكم (متى ولوتا) . وهكذا يظهر جلياً ان وجود العصاة لا يزيدهم قيمةً سواء كانت في أيديهم لطريقهم او لم تكن

هيا على درس تاريخ بلادنا

صورة تنظيم جمعيّة لدرس التاريخ

للاب هنري لامنس اليسوعي

انّ عصرنا لم يجدّد فقط الدروس العلميّة بل نهج ايضاً منهاجاً جديداً في درس التاريخ . فان المؤرخين كانوا فيما مضى يتصرّفون كل التصرّف في الاخبار وذكر اعمال الرجال . وكثيرًا ما كانوا يوردون الحوادث لا كما جرت في الواقع بل كما عنّ لهم وراق في اعينهم . وطالما نسبوا الى مشاهير الرجال اقوالاً وخطباً بليغة ولكنّها محض اختلاق

اما في عصرنا فقد نُسخت هذه العادة وعلم الناس ان التاريخ ليس مضماراً تتبارى فيه قرائح الشعراء او يؤيّد فيه الكتّاب آراءهم ومبادئهم بل هو صورة الماضي صورةٌ تطابق كلّ المطابقة الحقيقة ولا يسوغ فيها التبديل والتحريف . ولم يعد المؤرخ يُقدم على ايراد حادث الّا بالاستناد على الادلة الواهنة . ولذا نرى الكتبة الافاضل يذكرون دائماً ليس فقط المصادر التي اخذوا عنها بل ربّما عيّنوا الصفحة واحياناً السطر الذي اوردوه من تلك المصادر وان لم يتوصّلوا الى معرفة امر اقرّوا بعجزهم عنهُ غير متردّدين . وان لم يثبتوه بل بدا لهم مُرَجّحاً بيّنوا حالتهُ من الارجحية

فجمل القول انهُ ليس للمؤرخ سوى ان يستخدم الادلة التاريخية ويستعين بها ويستند اليها ولا يسوغ لهُ البتّة ان يتصرّف بها على هواه ولا ان يلحق تغييرًا في الانشاء ما لم يئته الى ما فعل . فيظهر من ثمّ ما في الادلّة التاريخية من الاهمية العظمى

وعلى المؤرخ قبل ان يباشر العمل ان يجمع ما لديه من الادلة ويدقّق النظر فيها . بيد ان مثل هذا الشغل ليس بالسهل اليسير في الشرق حيث ان القوم معرضون عن درس التاريخ . واذا ولج منهم احد هذا الباب نراهُ يُعنى بتاريخ البلاد الاجنبية ولم يعبأ بتاريخ بلاده

واين نحن من عصر الطبري وابي الفرج الاصفهاني وابن العبري وابن الاثير وابن